

# الفصل الأول

## مستقبل الوحي

تعيش الحيوانات يوماً بعد يوم على ما تقدمه الحياة لهم. ولا يبدو أنها تنظر إلى ماضيها أو تحلم بمستقبل تتطلع إليه. أما الإنسان.. فهو مستثنى من ذلك في المملكة الحيوانية، إذ من النادر أن يقنع بحاضره، فهو إما أن يعيش هائماً في ذكريات الماضي، أو يمني نفسه بأيام أفضل في رحم المستقبل، وغالبا ما تتعلق هذه الآمال بمستقبله الاقتصادي أو السياسي أو الديني. وسوف نتناول في الصفحات القادمة المستقبل الديني للإنسان.

إن الأديان الرئيسية جميعها تُعد بمجيء مبعوث سماوي، يُشكل قدومه مرحلة جديدة من الأمل للإنسانية، إذ أنه سوف يُوحّد البشرية جمعاء ويجمع كلمتهم تحت لواء سماوي واحد. وهذا الأمل بمنزلة الأرض الموعودة التي يتطلع الجميع إلى الوصول إليها والاستحواذ عليها يوماً ما. إنها اليوتوبيا.. المدينة الفاضلة.. ملتقى آمال جميع الأديان، غير أنها بكل أسف قد صارت أيضاً مفترق الطرق الذي تتباعد عنده السبل والدروب، وتختلف المقاصد والاتجاهات. إن الأحلام فقط هي التي يشترك فيها الجميع، ولكنهم لا يشتركون في كيفية تحقيقها. فأتباع الأديان جميعها متفقون في إيمانهم بأن مبعوثاً سماوياً سوف يأتي لهداية البشرية وإنقاذها من الهلاك والدمار، ولكن حين يتعلق الأمر بشخصية ذلك المنتظر، نرى أنهم يختلفون تماماً بعضهم مع البعض. فهل سيكون هو الرب كرشنا أم يسوع المسيح؟ هل سيكون هو زرادشت أم بوذا؟ أو لعله كونفوشيوس أو لاو-تزو؟ فأتباع كل دين من الأديان ينتظرون شخصاً مختلفاً، له اسم مختلف، وله لقب مختلف، وتتوقع كل فئة منهم أن ينتمي هذا المبعوث إلى دينهم على وجه الخصوص. وهنا يرى المرء أن أبواب الأمل التي كانت مفتوحة لمجيء المنقذ المخلص قد بدأت توحد مرة أخرى. وهي تبدو موصدة من

وجهة نظر أولئك الذين يعتبرون أن كل الأديان الأخرى هي أديان زائفة باستثناء دينهم هم، وعلى هذا يكون الباب الوحيد المفتوح هو باهم هم، بينما نفس هذا الباب يرى الآخرون أنه موصد أيضا. فكل فئة ممن كان يتغنى بأهازيج قدوم المنقذ العالمي.. راحت تغني على ليلاها عندما يتعلق الأمر بشخصية ذلك المنتظر، فإما أن يحقق لهم ما تخيلوه في توقعاتهم وأحلامهم.. أو إنهم لن يقبلوا أحدا على الإطلاق. واأسفاه! إن هذا الموقف الأخير هو الذي اختاروه لأنفسهم، فلماذا يعبأ الله تعالى بأهوائهم إن كانوا هم لا يعبئون بإرادته ومشيئته. فليقيموا هم منقذهم الذي يتخيّلونه من خواء آمالهم وتصوراتهم اللاعقلانية.

إنه من المثير حقا أن نشاهد هذا الجدل الصاحب يدور على النطاق العالمي. وبعد أن هدا غبار عواصف الدعوات والدعوات المضادة.. وسكن، فإن الاتفاق الوحيد الذي استقر عليه أنصار كل دين هو استمرار الاختلاف بشكل أقوى وأشد. فمن المحتم لكل فئة أن يكون المحدد المنتظر منهم وليس من غيرهم، وإلا فلن يقبلوه. إن كلامهم عبث، وآمالهم أوهام، ولا مكان للمخلص الذي يريدونه سوى في أحلامهم.

هل يمكن لهذا المنتظر أن يحقق آمال جميع الأديان أم أنه سوف يحقق آمال أحدها فقط؟ وإلى أي دين منها سوف ينتمي في واقع الأمر، وأية أمان ومطمح سوف يحقق.. بينما يصرخ أتباع كل دين متعلقين بأهداب الأمل: *حقق لنا نحن الآمال.. حقق لنا نحن الآمال.. حقق لنا نحن الآمال!* والسؤال الذي يطرح نفسه في النهاية هو هل الشخص الموعود هو شخص واحد؟ أم هو عدة أشخاص يأتون في نفس الوقت؟ إن الله تعالى مُنَزَّه عن التناقض حتى يرسل عدة أشخاص يناقض بعضهم بعضا، فهو إما أن يرسل شخصا واحدا برسالة واحدة، أو لا يرسل أحدا على الإطلاق. فما الذي سيحدث للفئات المختلفة المتناحرة من الأديان المتعددة في ذلك الحين، فكل منها تؤمن بأمر متغايرة تتناقض مع ما تؤمن به الأخرى؟ وفيما يلي سننظر بعين الاهتمام إلى

هذه التناقضات التي تتميز بها تلك الفئات.

إن الأسلوب الذي يتصور الجميع أن تتحقق به أحلامهم هو أمر مستحيل الحدوث. خذ مثلاً حالة اليهود الذين كانوا منذ زمن سحيق يتطلعون لمجيء المسيح، وقد ظلوا أوفوا من السنين يضربون رؤوسهم بجائط المبكى، ولا يزالون، يتضرعون لكي يسرع المسيح بمجيئه، ولم يدركوا أبداً أنه قد جاء ورحل ولكن ليس بالأسلوب الذي كانوا يتوقعونه، ولا بالشكل والمظهر الذي تخيلوه لمجيئه وحدوده. وعلى هذا فإن الباب الذي أبقوه مفتوحاً قد أُغلق عملياً، بل وأوصد بالمزلاج. فما أقسى شعور اليأس ألا يأتي الضيف الذي طال انتظاره بشوق وشغف، رغم أن المرء لا يرى أي مانع ولا حائل يحول دون مقدمه. وفي الواقع.. إن جميع هؤلاء الذين ينتظرون مقدم الضيف السماوي هم أنفسهم المسؤولون عن وضع عقبات في طريقه لا يمكن اجتيازها، ولكنهم لسبب أو لآخر لا يدركون ما يفعلون. ولو أنهم أدركوا أن توقعاتهم مستحيلة التحقق، لأمكن لهم، على الأقل، أن ينعموا بنوع من الهدوء الذي يأتي بعد فقدان الأمل والشعور بالقنوط. إن الحوائل والسدود التي تغلق الطريق تُفقد الأمل، وتُخمد شعلة التوقع، هذا بالطبع إذا أقروا بوجود الحوائل والسدود. أما إذا تجاهل البعض وجود هذه الحوائل والسدود، فهم وحدهم الذين يجلبون اللوم على أنفسهم. واليهود مثلاً.. الذين لا يزالون ينتظرون قدوم المسيح، لم يعوا بعد هذه الحقيقة البسيطة، رغم أنهم يتصفون بالذكاء، ولم يعد لديهم سوى أن يبكوا وينوحوا بجوار حائط من حجر، متوسلين لكي يأتي المسيح الذي لا يمكن أن يأتي وفق تصوراتهم.

ولكن اليهود ليسوا وحدهم ضحية هذا التناقض متأرجحين بين الذكاء والغباء، إذ لا تختلف عنهم كثيراً حالة جميع الأديان الأخرى التي ينتظر كل منها منقداً مختلفاً. قد يختلف الممثلون الذين يؤدون الأدوار،

وقد تختلف أشكالهم وملابسهم، ولكن الدراما التي يؤدونها هي واحدة في جميع الأحوال. فاليهود كانوا ينتظرون مقدم مسيح كان من المحتم أن يأتي منقذا لهم، وقد جاء بالفعل، ولكنه لم يكن نفس المسيح الذي كانوا يتوقعونه في مخيلتهم، ولذلك لم يعرفوه. لقد كانوا ينتظرون أن يأتي إليهم مسيح يضع تاجا على رأسه، ويتوقعونه ملكا جالسا على عرش الملك. كانوا يعتقدون أنه سيكون مسيحا محاربا.. يقود جيوش الإسرائيليين لمجاهة الحكم المتسلط للإمبراطورية الرومانية ويحقق الظفر والفلاح. وها قد مرّ ألفان من السنين منذ أن رفضوا قبول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ولم يأثم بعد ذلك المسيح الذي كانوا يتوقعونه في مخيلتهم. وها قد غير التاريخ الجغرافيا السياسية في العالم، وفقدت نبوءة مجيء المسيح معناها كله. فلم تعد فلسطين واليهودية تحت إصر حكم دولة رومانية يريد الشعب اليهودي أن يتحرر منه. لقد اختفت تماما من خريطة العالم هذه الإمبراطورية الرومانية التي حكمت في يوم من الأيام نصف العالم المعروف في ذلك الزمن، ولكننا لا نزال نسمع صرخات الإنقاذ في فلسطين، ولكنها صرخات الإنقاذ من اليهود وليست لإنقاذ اليهود.

ورغم أنه ليس هناك من خطأ في اعتقادهم بأن المسيح سوف يولد كما يولد أي إنسان آخر من رحم امرأة، إلا أنهم ربطوا مولده ببعض الظواهر غير الطبيعية التي كان من المستحيل أن تتحقق. وقد كان اعتقادهم بالتزول الجسدي للنبي إلياس من السماء هو حجر العثرة الذي سد الطريق أمام مسيحهم المنتظر. وهكذا تحوّل موقف اليهود تجاه مجيء المسيح إلى إنكار تام لمجيئه بناء على ما ربطوه به.

وحين نتحوّل بأنظارنا من اليهود إلى النصارى، فإننا لا نرى موقفا يختلف كثيرا عن الموقف الذي ذكرناه فيما سبق. ولنتصور مثلا أن المسيح قد عاد في زيارة ثانية إلى الأرض، مصحوبا بذلك الهيلمان العظيم الذي يتصوره المسيحيون الذين لا يزالون ينتظرون التحقق الحرفي لنبوءات عودته.

إن فكرة نزول ابن الله من السماء في مجد عظيم، وفي شكل إنسان، هي فكرة تصلح فقط لقصص الخيال، ومع ذلك فهي تُستخدم لإبقاء الأمل حيا، أو لعلنا نقول إنها تُستغل لإبقاء الإيمان المسيحي حيا. وحينما ننظر إلى هذه الفكرة من زاوية عقلانية تختلف مع النظرة المسيحية، فإن سخافتها ومنافاتها للعقل يصبح أكثر وضوحا وأشد جلاء. ولا يوجد إنسان من غير المسيحيين، سواء كان متدينا أم غير متدين، يمكن أن يشارك المسيحيين هذا الاعتقاد، لأنه يتحدث عن تزاوج خيالي مُفرط بين المادة والروح. ومع ذلك فإن المسيحيين لا يرون في هذه الفكرة أي عنصر من عناصر الخرافة غير العقلانية، فإن الاعتقاد الراسخ بهذه الفكرة قد أعماهم تماما.

والغريب أن نفس هذا المسلك الشاذ لليهود والنصارى يتفق تماما مع مسلك أتباع الأديان الأخرى الذين تتناقض أيضا توقعاتهم مع الحقيقة وتتنافر مع الواقع. إن مسحة بسيطة من غير المعقول في عقائد الآخرين تزعج اليهود والنصارى، وتثير استنكارهم لما يعتبرونه منافيا للحقيقة، ولكن أعينهم تعمى تماما عن رؤية الأخطاء الفاحشة التي تلتطخ عقائدهم هم، مهما كانت منافية للطبيعة ومخالفة للعقل. إنهم يرون القشة في عيون الآخرين، ولكنهم لا يرون الخشبة التي في أعينهم، خاصة لو أنهم نظروا إلى أنفسهم من خلال عيون الآخرين. إن النظرة العقلانية هي وحدها التي تساعد كل الأطراف على تبين أن العودة الحرفية في زيارة أخرى إلى الأرض.. لأي نبي من الأنبياء، أو ما يسمى بإله أو ابن الله.. هو أمر لا يتفق مع العقل. فإن مثل هذه الزيارة لم تحدث قط في أي زمن مضى أو في أي مكان على ظهر هذه الأرض خلال عمر البشرية بأكملها، وهي لن تحدث في المستقبل أبدا. ولم يحدث بتاتا أن نزل أي نبي من الأنبياء من السماء بالمعنى الحرفي، وإنما كان الأنبياء يأتون إلى العالم عن طريق أرحام النساء، ويولدون ويعيشون في الدنيا كما يعيش بقية البشر. وكانوا دائما يبدؤون حركة للإصلاح يتحتم عليها أن تخوض صراعا مريرا من أجل

البقاء والانتصار على جميع العقبات. هذا هو الواقع، وأي معتقد لا يتواءم مع هذا الواقع فإنه لا ينتمي إلا إلى عالم الوهم والخيال. لذلك فلا بد من رفض جميع وعود الإصلاح وإحياء الدين التي تقوم على هذا الأساس الذي يتنافى مع العقل، فلم يحدث مطلقاً أن استخدم الله تعالى هذا الأسلوب.

وإذا انتقلنا بأنظارنا إلى العالم الإسلامي.. نجد أن الفكرة الشائعة عن إحياء الدين لدى المسلمين قد تبدو مختلفة عن الخط العام الذي تنتهجه الأديان الأخرى، ولكن عند فحصها عن كثب يمكن للمرء أن يرى أنها عملياً لا تختلف كثيراً عن موقف الأديان الأخرى، فيما عدا سياق الأحداث. فبادئ ذي بدء.. يقول المسلمون إن رسول الله ﷺ هو آخر الأنبياء على الإطلاق، وهم اليوم يفهمون تعبير "خاتم النبيين" على أنه يعني انقطاع مجيء الأنبياء بجميع فئاتهم. ورغم هذا.. فهم أيضاً ينتظرون نزول عيسى بن مريم من السماء. أفلا تتناقض فكرة مجيء نبي مع فكرة كون محمد ﷺ هو آخر الأنبياء على الإطلاق؟ هذا هو السؤال الذي تتعين إجابته. وعند الرد على هذا الموقف المتناقض نراهم يقولون إنه بالرغم من استحالة بعثة نبي جديد، فإن نبياً قديماً يمكن أن يعود مرة أخرى لتحقيق المقتضيات المستجدة التي استدعت حضوره. ويبدو أنهم قد نجحوا بهذه الاستراتيجية في إبقاء باب النبوة مغلقاً وموصداً بالمزلاج، بينما يحاولون بمناورة ماكرة إدخال المسيح ﷺ من الباب الخلفي. إن المسلمين المعاصرين.. سواء كانوا من أهل السنة أو من أهل الشيعة.. يتفوقون على هذا التفسير لمعنى ختم النبوة. فالجميع يؤمنون بعودة المسيح عيسى بن مريم نبياً من عند الله تعالى، ومع ذلك فهم يؤمنون أيضاً بالآخريّة المطلقة لسيدنا محمد ﷺ.

وتبدو مشكلة التناقض المتأصل هذه في المعتقدات الشائعة بين المسلمين اليوم أكثر وضوحاً وأشدّ جلاءً.. حين يتعلق الأمر بنبوءات

مجيء الإمام المهدي. فهو لكونه إماما.. سوف يكون مأمورا من الله مباشرة وسيجعله للناس إماما، ولهذا يتعين على كل مسلم أن يؤمن به. وسوف نتحدث بتفصيل أكثر عن مقام الإمام المهدي، غير أنه يكفي الآن التأكيد على أن الإمام المهدي قد وُصف بكل ما يتصف به الأنبياء، رغم أنه لم يُعط لقب نبي.

أما وقد أوضحنا هذا الأمر.. فالضرورة تقتضي أن نعود إلى بحث موضوع عودة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام والكيفية التي يمكن أن تتحقق بها هذه العودة. وتختلف عقيدة الجماعة الإسلامية الأحمدية عن عقيدة عامة مسلمي هذا العصر في الكيفية فقط، وليس في موضوع العودة. والسؤال هنا هو ما إذا كانت كيفية العودة هذه سوف تكون حقيقية أو مجازية. هل ستتحقق هذه الكيفية بعودة نفس ذات الشخص، أم أنه سيكون شخصا آخر يشابه المسيح السابق؟ هل سيظهر كني مسيحي وقد تحول إلى شريعة دين الإسلام، أم أنه سيكون نبيا مسلما يحقق صورة مجازية للمسيح بن مريم؟ وما هي العلاقة التي تربطه بالأديان الأخرى؟ هذه هي الأسئلة الهامة التي يجب أن يكون لها إجابات شافية.

**إن موقف الجماعة الإسلامية الأحمدية هو الموقف العقلاني الفريد.** فهي تقبل.. من ناحية المبدأ.. جميع الدعوات التي تنادي بها الأديان الأخرى التي تقول بمجيء مصلح رباني عالمي في آخر الزمان. فمن حق الهندوس أن تُقبل دعوتهم حين يقولون بعودة كرشنا تماما كما هو من حق المسيحيين أن تُقبل دعوتهم حين يقولون بعودة المسيح عليه السلام. كذلك فإن توقعات الزرادشتيين الذين يتطلعون لعودة زرادشت، وآمال البوذيين وأتباع كونفوشيوس في ظهور كل من بوذا وكونفوشيوس على أنه المخلص الموعود.. يجب أن تحظى تلك الآمال والتوقعات بالاحترام المماثل. غير أن الاعتراف بصدق جميع هذه الدعوات المختلفة التي تبدو أنها متناقضة.. يمكن أن يكون معقولا إن لم نأخذها بحرفيتها واعتبرناها

مجازية. والاستنتاج الوحيد المعقول.. الذي يمكن أن نستخلصه منها هو أن ذلك المصلح الموعود.. لا بد وأن يكون شخصا واحدا، يمثل مجيء جميع هؤلاء الذين تذكرهم النبوءات، وإلا.. فإنه من المستحيل التحقق الحرفي لجميع هذه النبوءات بسبب الهالات الخرافية المحيطة بكل منها. وهذا ما قدمه مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام، وقد ذكر هذا الرأي لشعوب العالم بمنطق لا جدال فيه. فإن مجيء كل هؤلاء المصلحين في وقت واحد، لا يمكن أن يكون بشكل مادي وحرفي، وإنما يمكن أن يكون فقط بشكل مجازي. وبنفس المفهوم.. أعلن أنه حقق في شخصه هذا الشكل المجازي الذي يمثل مجيء المسيح والمهدي كشخص واحد، وأنه في شخصه يتحقق أيضا مجيء الآخرين مثل بوذا وكرشنا، وكل المصلحين الآخرين الذين يُنتظر مجيئهم في أي مكان في العالم.

وإذا تركنا جانبا التأثير الذي خلقته هذه الدعوة بين الآخرين.. سواء بالقبول أو بالرفض، فإننا نبدأ بدراسة الأثر المدوّي الذي خلقته بين أوساط الأصوليين من المسلمين، وهؤلاء لا يهتمون بتاتا بعودة بوذا أو كرشنا أو غيرهم لأنهم لا يؤمنون بهم أصلا، ولكنهم يهتمون اهتماما بالغا بالمسيح عليه السلام، رغم أنه كان نبيا مرسلا إلى بني إسرائيل وحدهم. وفي رأيهم، أن قول أحد بأنه يمثل مجيء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هو قول أبعد من أن يهضم أو يحتمل، ويزيد الأمر بشاعة لديهم أن يقال عن المسيح الذي يجلّمون به إنه قد مات ولن يعود مرة أخرى، والقول بمجيء إنسان يمثله من بين المسلمين هو أمر يصيبهم بالاشمئزاز الشديد وبالغثيان. ولا يغيين عن البال أنه قبل أن يعلن مرزا غلام أحمد عليه السلام عن دعواه بأنه مثل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.. كانت شهرته وصيته قد طبقت آفاق الهند لما أثاره كتابه العظيم "البراهين الأحمدية" من إعجاب بين المسلمين. وقد أثنى المولوي محمد حسين البطالوي.. أحد علماء فرقة أهل الحديث.. على الكتاب ثناء بالغا، فقال عن المؤلف إنه أعظم من دافع عن

الإسلام منذ وفاة الرسول ﷺ. ومع ذلك.. ورغم هذه الشهرة الواسعة، فإنه بمجرد إعلان رأيه بوفاة المسيح الذي كان رسولا إلى بني إسرائيل، بدلا من أن يؤيد فكرة حياته في السماء التي كانت شائعة بين الناس في ذلك الوقت، إذ بموقف الناس تجاهه يتحوّل تحوّلًا جذريا، ونفس أولئك العلماء الذين كانوا يكيلون له المديح، ويغرقونه بقصائد الثناء، غيروا موقفهم منه تغييرا كاملا. فمن يكون هو بالمقارنة مع مولاهم المسيح المنتظر الذي يعتبرونه المخلص الموعود للعالم أجمع؟ وهكذا.. وبين عشية وضحاها.. انهارت شهرته إلى الحضيض، وتهاوت من ذراها الشاهقة في أعالي السماء. وكان الناس يريدون لصورة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أن تظل في السماء كما كانت في مخيالاتهم. وأما هذا الذي يدّعي أنه جاء مثيلا له، فلا جزاء له عندهم سوى القتل والإعدام. وهكذا كان الهيجان الشديد الذي أثارته دعوة مرزا غلام أحمد أمرا لم يُر له مثيل في التاريخ الديني للهند. وانطلق فجأة إعصار من الغضب الجارف، وانفجر بركان من الحقد العارم، راح يلقي بحمم من الشتم والسب وفتاوى التكفير. وبذلك انطفأ النجم اللامع الذي كان يتلأأ في سماء القيادة الإسلامية في الهند، وتحوّل الرجل الذي كان محط إعجاب الناس ليكون محط سخط الجماهير، إلى الحد الذي لم يعد فيه يستحق أن يُعتبر حتى واحدا من المسلمين العاديين. غير أن كل هذا لم يفتّ في عضده شيئا، ولم يؤثر في خلية واحدة من جسده، فلم يكن هناك من أمر يمكن أن يحول بينه وبين القيام بالمهمة الربانية التي كلفه الله تعالى بها.

ولم يتأخر المسيحيون أيضا كثيرا في موقفهم العدواني تجاهه، فلم يتركوا دربا إلا سلكوه، ولا بابا إلا ولجوه، من أجل تدميره والقضاء على دعوته، حتى إنهم اختلقوا له تمها كاذبة راحوا يلاحقونه بها في المحاكم البريطانية في الهند. ولكنه ظل على هدوئه وثباته وصلابته، لا تحركه عن قصده الزلازل، ولا تثنيه عن عزمه النوازل.

وبعد ذلك، وكان دعوته بكونه مثيلاً للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام وما أثارته ضده من سخط المسلمين والمسيحيين على السواء لم تكن كافية، فإذا به يعلن أيضاً أنه مثيل لكرشنا.. نبي الهند العظيم.. الذي اتخذهُ أتباعه إلهاً يعبدونه من دون الله باعتبار أن الله قد حل فيه. وكذلك فقد أثار سخط الهندوس.. وخاصة طائفة الآريا سماج.. أكثر طوائف الهندوس تعصباً وأشدّها غلظة وترويعاً.. بقيامه بهجوم مضاد لصده هجماتهم الفاحشة والضارية ضد الإسلام وضد رسول الرحمة ﷺ. كذلك فقد دعا زعماء طائفتهم إلى مناظرات ومباحثات في أمور عقائدهم، مما كان له أثر مدّمر على من قبل منهم تحديه. وباختصار، فقد أعلن أن جميع النبوءات الموجودة في كل دين، والمتعلقة بمجيء شخص واحد فقط. وبغض النظر عن الأسماء والألقاب المختلفة المذكورة في الديانات المختلفة والصحف المقدسة، فإن كل ما يهم هو أن ذلك المصلح الموعود.. أيّاً كان.. هو مبعوث من لدن الله تعالى إلى العالم أجمع في آخر الزمان. وأما أولئك الذين كانوا أسارى التعصب وضحايا الفهم المنغلق، فلم يكن له أي شأن بينهم، ولا كانت دعوته تمثل أية أهمية بالنسبة لهم. وكان هؤلاء هم الذين رفضوه رفضاً قاطعاً، وعادوه عداً سافراً. لقد كذبوه كما كذب الناس عباد الله المرسلين من قبله، ولكن الله تعالى كان يؤيده بكل تأكيد كما أيد دائماً جميع عباده المرسلين من قبل.

إنه من العجيب حقاً كيف ينسى الناس دائماً أن الله ﻋَﻠَﻴْﻜَ ﻭَﻋَﻠَﻴْﻜَ يعامل أنبياءه جميعاً بنفس المعاملة، والأنبياء أيضاً بدورهم ينصاعون لأوامره انصياعاً كاملاً. وبالمثل كانت الطاعة الكاملة لهذا المصلح العالمي الموعود هي لله تعالى وحده، وليست لأي من تلك الفرق الدينية التي تنتظره وتتوقع أن يؤيد عقائدها المنحرفة. فهو مبعوث يأتي من لدن الله تعالى ونائباً له سبحانه، وليس لأولئك الذين تخلوا عنه ﻋَﻠَﻴْﻜَ ﻭَﻋَﻠَﻴْﻜَ وخذلوه. وهو ينتمي

إلى جميع عباد الله الصالحين، وليس لأولئك الذين جعلوا من أنفسهم سادة على عباد الله الصالحين.

إن وحدانية الله تبارك وتعالى وإرسال الأنبياء بين الناس هما الأساسان المشتركان بين جميع الأديان. قد تختلف الأسماء وتتباين الألقاب، ولكن هذه كلها غير ذات قيمة، فإن ما يهم هو أن يكون صاحب الدعوى مبعوثاً من عند الله تعالى. ولم يدّع مرزا غلام أحمد عليه السلام أبداً أنه صار أشخاصاً عدة ذوي أسماء وألقاب مختلفة.. انصهروا جميعاً في شخصية واحدة.. غير أن معظم رجال الدين يختلقون مفهوماً زائفاً في هذا الشأن، ويثيرون به حنق الجماهير الجاهلة ليسخروا منه ويهزءوا به، قائلين لهم إنه يدّعي بأنه كل هؤلاء الأنبياء الموعودين وقد تجسّدوا واجتمعوا في شخصه، الأمر الذي أصاب جماهير الناس بصدمة عنيفة، فكيف يمكن للمهدي وللمسيح ولكرشنا ولبوذا أن يكونوا جميعاً فرداً واحداً؟ وهكذا راح البعض يهتف في ازدراء: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون! وأعادت المعاملة التي استقبلوه بها إلى الأذهان نفس المعاملة التي استقبل الناس بها رسول الإسلام ﷺ حين أعلن دعواه بوحدانية الله لا مدهانة فيها. لقد قام كهنة عبّاد الأصنام بقصد خبيث بالعمل على تشويه دعوته في أذهان الناس، فراحوا يُقنعون الناس بأنه يدّعي أنه أدمج آلهتهم كلها في إله واحد هو الله تعالى. يقول الكتاب الكريم:

﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (ص: ٦٠)

وليس من الصعب للباحث غير المتعصب أن يرى حكمة مرزا غلام أحمد عليه السلام خلال جميع مباحثاته مع معارضيه، إذ كان موقفه دائماً موقف الإنسان العقلاني والمنطقي. وإن لم يكن الأمر كذلك لكان من السهل إثبات خطئه في أغلب معتقداته ومناظراته باستعمال نفس الآلية العقلانية. ولو كان غير مصيب في رأيه بأن المقصود من النبوءات الموجودة في

كل الأديان عن مجيء مصلح رباني في آخر الزمان.. هو مجيء شخص واحد فقط من عند الله تعالى، لكان هذا يعني أنه ينبغي أن يظهر في كل دين مصلح خاص، يحمل اسما مختلفا، ولقبا مختلفا، ومذهبا وأيديولوجية مختلفة. وهذا يفتح مجالا واسعا من الدعوات والدعوات المضادة، ويفتح الأبواب للكثير من الخصومات والمنازعات، وإذا انفتحت هذه الأبواب فإنه يكون من المستحيل أن تُغلق بعد ذلك أبدا. إن كل من هؤلاء سوف يعلن أنه هو وحده الممثل الشرعي الوحيد لصوت السماء، وكل منهم سوف يدعو العالم بأجمعه للإيمان به باعتباره الأمل الوحيد المنوط به نجاة الناس، وسوف يعتبر كل منهم أن الآخرين ليسوا سوى أدعياء كذبة. ومن الواضح أن فساد هذا السيناريو المجنون لا يحتاج لأي تعليق. إن كل إنسان به ذرة من عقل أو منطق لا يمكن أن يؤمن بإله يعمل على تفريق الناس إلى مئات من الفرق المتنافرة والمذاهب المتناحرة، وإنه من الجنون حقا أن تُنسب هذه التفرقة إلى الله، أو أن تتم باسمه وبسلطانه.

**فأي إله هذا الذي يجعل يسوع المسيح ينزل من السماء في صفوف المسيحيين لبدأ غزوا عالميا باسم الثالوث: الإله الأب، والإله الابن، والإله الروح القدس؟ وما إن يتم تحقيق ذلك يسرع باستنساخ نفسه ويتحوّل إلى الرب كرشنا في شبه القارة الهندية، مؤكدا على أهل الهند أنه ليس واحدا وليس اثنين وليس ثلاثة، بل هو إله متعدّد الوجود، من الصعب أن تُحصى أشخاصه أو تجلياته. ويمكن عبادته باعتبار أنه أشجار، أو حيّات، أو عقارب، أو أفيال، أو عواصف رعديّة تصمّ الآذان. كذلك يمكن عبادته على أنه القمر الذي ييزغ أثناء صمت الليل الطويل، وهو أيضا الشمس التي تنير النهار الجميل، وهو ما لا يمكن حصره من نجوم تُزين أديم السماء. أما على الأرض فمن السهل معرفته في شكل الأبقار والقرود والدببة والضباع والتمور والخيول والحمير وما لا حصر له من أشكال الحيوانات التي تسكن في البحر والأرض والهواء. كذلك يمكن عبادته على**

أنه الأشباح والأشكال الشبحية التي يتصورها الإنسان. وعلى ذلك فسوف يصيح مناديا للجميع: هيا أسرعوا إليّ واعبدونا!  
وقبل أن يضيع صوته في خضم الترنيمات المتصاعدة: سمع لك يا مولانا كرشنا، هاري راما.. هاري راما.. إننا سوف نعبدكم جميعا، فإن صوتنا آخر سوف يبدأ في الانطلاق، ويعلو ويرتفع في تصاعد مستمر على أنه صوت بوذا. وسوف يرفض رفضا باتا جميع أشكال الوحي الإلهي التي ادّعاها الرب كرشنا، بل إنه سوف يسخر من فكرة وجود إله على الإطلاق. وسوف ينادي بأعلى صوته ويقول: هأنذا بوذا، وأنا لست إله، وليس هناك من إله غيري، فأنا لست سوى اكتمال الحكمة الإنسانية، وهذا هو كل ما عليكم أن تعرفوه على الأرض. فلننكر جميع الآلهة، ونحتفل بخلاصنا من ربقة الأساطير الإنسانية. لقد جئت لأحرركم من الله كما كنت أفعل دائما بعد كل ألفية من السنين، وليس هناك سواي من يستطيع أن يهديكم كما أهديكم أنا إلى الحق.

وقبل أن يخمد صوته وينتهي إلى سكون شامل ينزوي على أثره إلى أعماقه الخاوية وتأملاته في لا شيء أزلي، إذا بصوت آخر يأخذ في الارتفاع من بلد مجاور في إيران، وهو صوت أهورا مازدا، إله النور الذي يتحدث من خلال شفطي زرادشت، وسوف ينادي قائلاً: إن الصوت الذي كنتم تسمعون يا أهالي الهند والتبت والصين كان هو صوت أهرمان إله الظلام، فهو الإله الوحيد الموجود سواي، ومن المحتم أن يكون ذلك الصوت هو صوته، فليس في الكون آلهة سواي أنا وهو، فأنصتوا جيدا يا بني آدم: إن الله ليس إله واحد ولا هو ثلاثة ولا أربعة ولا خمسة. ومن حماقة أن تؤمنوا بعدد غير محدود من الآلهة، فإننا لسنا إله واحد ولا آلهة متعددة، إننا لسنا سوى إلهين اثنين فقط، أما الباقي فهم مجرد خيال لا حقيقة، وها أنذا موجود.. أنا إله الخير، وهو إله الشر، وهو الذي كنتم تسمعون صوته مدعيا أنه بوذا. إنه إله الظلام بينما أنا إله النور. إنه ينكرني دائما ويرفضني دوما

ويحاول أن يصرف عبادي عن عبادتي. إنه يقول للإنسانية كلها إنه ليس هناك من إله يستحق العبادة سوى الإنسان نفسه. إنه يسكن في مكمن الذات الأنانية في النفس الإنسانية، وباسم هذه الأنانية ينال كل تبجيل وثناء يقدم في محراب الأنانية. ومع ذلك فلا بد من أن أعترف بأنه إله حقيقي، معتم ومظلم كما يكون الليل الأسود حالك الظلام، وعليكم أن تتحملوه، ولكن كونوا على حذر منه وابدؤوا أنا وحدي.

وفي غمرة الصخب الذي خلقتة الفرق المتناحرة التي ذكرناها، إذا بالعالم الإسلامي يتحرك هو الآخر في نشاط شامل مع مجيء الإمام المهدي الذي يأتي شاهرا سيفه، إذا كان هو بالفعل ذلك الإمام الدموي الذي يؤمن به الكثير من رجال الدين المسلمين. وسوف يطلق صيحة بندااء إعلان الجهاد المقدس لقتال غير المسلمين من الناس، والقضاء على الحكومات غير المسلمة في العالم.

وخلال هذه النوبات العاتية من الجنون الديني.. يصير الدين نفسه هو المستهدف النهائي والضحية الكبرى. ولا شك أن العقلانية سوف تقفز وتطير محلقة بعيدا عن ساحة هذه الحماسة.. وهي تبتهل إلى الله تعالى أن ينقذ الدين من أيدي هؤلاء الذين يريدون أن ينقذوه ويصلحوه بزعمهم. وبغير أن يتخذ الله ﷻ وسائل عاجلة لمعالجة الأمر، فإن الجميع.. هندوساً ومسيحيين، بوذيين وزرادشتيين، يهوداً ومسلمين.. سوف يعانون من النزاع والخلاف أشد المعاناة.

إن أي إنسان به شيء من العقل لا يمكن أن يؤيد مثل هذه الحماقات غير المنطقية، أو يدافع عن هذه المفاهيم غير العقلانية، فضلا عن أن ينسبها إلى تدبير الله تعالى. وبالتالي فلا يمكن فهم النبوءات المتعلقة بالأمر الديني بطريقة حرفية، وإنما يجب أن يكون للعقل والمنطق دور هام وجوهري في فهمها وتفسيرها. إن العصر الذهبي لتوحيد الإنسانية كلها لا يمكن أن يتحقق إلا إذا ظهر مصلح واحد، يكون مبعوثا من لدن الله تعالى، في دين

واحد يختاره سبحانه بنفسه. هذا هو الحل العقلاني الوحيد لجميع المشاكل التي تواجه أديان العالم في الزمن الأخير. غير أن الناس الذين كانوا في انتظار حل لضمان بقائهم واستمرارهم قد رفضوا هذا الحل، وظلوا يتمسكون بآرائهم الخاوية وتصوراتهم الخيالية لبزوغ عصر ذهبي.. لا يبدو إلا كالسراب.

إن المشهد الذي قدمناه فيما سبق هو محاولة أمينة لشرح الأوضاع المتناقضة في كل دين من الأديان فيما يتعلق بالدور الذي يؤديه كل دين لتحقيق الهداية الشاملة للإنسان. إنهم يفتحون أبواب الأمل، ثم يغلقونها بأنفسهم مرة أخرى.

أما المسلمون.. فهم ينهجون نهجا عكسيا، إذ أنهم يبدأون بإغلاق أبواب الأمل، وذلك بإعلان النهاية المطلقة لجميع أشكال النبوة بعد رسول الله، وما أن ينتهوا من ذلك حتى يقوموا بفتح تلك الأبواب مرة أخرى، غير أن موقفهم يظل في واقع الأمر كما هو دون تغيير. وبالتالي فإن الدراما التي تقع أحداثها على المسرح الإسلامي لا تختلف كثيرا عن تلك التي تقع أحداثها على مسارح الأديان الأخرى في العالم. وبالرغم من إعلانهم الأخيرة المطلقة للنبي ﷺ وانتهاء جميع أشكال وأنواع النبوة بشكل لا يقبل أية حلول وسطية، إلا أنهم يتمسكون بشدة وشغف بشخص المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، إذ أنهم يدعون بأنه سوف يأتي حتما بعد الرسول ﷺ، غير أن الأسلوب الذي يحدّونه لمحيته يجعل من مجيئه أمرا مستحيلا، وعلى ذلك يظل موقفهم من الناحية العملية على ما هو عليه دون تغيير.

### منطق انتهاء النبوة

إن آخرية أي نبي يمكن أن تتحقق من زاوية الرسالة التي يحملها، وأيضا من زاوية مكانته ودرجته ومقامه. ومن الممكن أن يكون نبي ما هو الأخير من حيث الرسالة، ويكون أيضا الأخير من حيث مقامه ومكانته. ومع ذلك فإنه من الممكن أن يأتي نبي يكون أقل منه مكانة وأدنى منه

مقاما، ويكون مواليا له وتابعا لرسالته، بغير أن يتناقض هذا مع آخريته. وهذا النوع من النبوة هو الذي نريد الآن أن نبحثه بشيء من التفصيل.

إن الإيمان بأخرية الشريعة الإسلامية كما نصّ عليها القرآن المجيد وأخرية الرسول ﷺ الذي تلقى هذه الشريعة من الله تعالى.. هو من الأمور التي تُجمع عليها الأمة الإسلامية بأسرها. فالقرآن المجيد، الذي هو في ذاته شريعة كاملة تامة، يعلن أيضا أنه تحت الحفاظة الإلهية المستمرة، التي تحمي نصوصه من العبث الإنساني.. سواء كان ذلك بالإضافة أو بالحذف. ومادامت هذه الدعوى صحيحة وصادقة، كما يؤمن بذلك جميع المسلمين ويؤكدون على صحتها وحقيقتها، فلا بد من اعتبار حامل هذا الكتاب.. أي النبي الذي أتى بهذه الشريعة من لدن الله تعالى.. هو آخر نبي يأتي بشريعة من وحي الله. هذا أمر واضح تمام الوضوح، ويلقى تأييدا من جميع المسلمين قاطبة، لم يشذ عنه أحد منهم ما دام مسلما، رغم أنه قد يبدو من العسير من وجهة نظر غير المسلمين فهم كيفية أن يقوم كتاب واحد بتلبية حاجات جميع العصور، ويتحدّى متطلبات التغيير خلال العصور التالية.

وعند إضافة دعوى القرآن بعالمية رسالته، فإن المشكلة من وجهة النظر غير الإسلامية تتضاعف كثيرا. فكيف يمكن منطقياً لأي كتاب مقدس أن يُعالج.. على نحو مُرضٍ.. جميع المشاكل العرقية المختلفة، والمشكلات المحلية التي تبرز بين جميع شعوب العالم على السواء؟ إن هناك أوروبيين، وأمريكيين، وأفارقة، وعرباً، وإسرائيليين، وروساً، وأنواعا عديدة من الشعوب من أصل أسيوي تنتمي إلى أعراق مختلفة وثقافات وتقاليد موروثية متباينة. كذلك تختلف تقاليدهم السياسية والاجتماعية اختلافا واسعا حتى إنه من الصعب رؤية كيف يمكن لشريعة عالمية واحدة تحتوي على مجموعة من القوانين الدينية أن تُرضي جميع هؤلاء وتلي حاجاتهم بعدالة وتوازن.

وللإجابة على كل من هذين السؤالين يعلن القرآن المجيد أن تعاليمه جميعها تقوم على أساس الفطرة والطبيعة الإنسانية، وهي عامل مشترك بين

جميع أفراد الجنس البشري، لا تتغير بتغير الزمان. إن كل تعليم يقوم تماما، وبشكل كامل، على الفطرة الإنسانية.. هو تعليم ثابت غير قابل للتغيير. ويشير القرآن المجيد إلى هذا المبدأ حين يقول:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠ الروم: ٣١)

نعم.. إن الفطرة والطبيعة التي خلقها الله تعالى لا يمكن أن تتغير، وحتى الملحد لا بد له أن يُقر بأن الطبيعة الإنسانية قد بقيت على حالها في جميع أنحاء العالم منذ عهد سحيقه. غير أن كتاب الشريعة نفسه الذي يخاطب طبيعة الإنسان غير المتغيرة يمكن أن يخضع للتغيير على أيدي الإنسان، ولذلك فقد حرص القرآن المجيد على بيان انتفاء وجود هذا الاحتمال وذلك بالتأكيد على وجود الحماية والحفاظة الربانية لهذا الكتاب. يقول تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٠٥ الحجر: ١٠٥)

وقد أثبت التاريخ أن هذه الدعوى حقيقة صحيحة واقعة. فلا بد من الإقرار بأن الرسول ﷺ الذي جاء بهذه الشريعة هو حتماً آخر نبي يأتي بشريعة من لدن الله تعالى، وليس في هذا الإقرار أمر يتناقض مع المنطق أو يختلف مع العقلانية. ولكن حين يُقال إنه من المستحيل أيضا أن يأتي نبي غير مشرّع أي بدون شريعة جديدة، فإن هذا يُعد تمديدا مبالغا فيه وغير منطقي لمبدأ الآخريه.. والذين يقولون بهذا الرأي ويعلمون مبدأ الآخريه المطلقة للنسبة بجميع أشكالها وأنواعها، هم في حقيقة الأمر يهدمون بأنفسهم هذا المبدأ من أساسه، وتبدأ ثغرات الضعف في الظهور في اللحظة التي يسرعون فيها إلى استثناء عيسى ﷺ من هذا القانون العام

المطلق الذي وضعوه لإثبات الآخريّة المطلقة.  
وعندما يواجهون بهذه المعضلة نجد أنهم يصرفونها بإشارة بسيطة من أيديهم، كما لو لم تكن هناك أية معضلة على الإطلاق.  
وهم يقولون إن عودة عيسى عليه السلام نبيا بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لا تتعارض مع آخريته المطلقة للأسباب التالية:

- إن عيسى سوف يأتي كنبى من الذين سبق أن جعلهم الله أنبياء قبل مقدم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ذلك فليس هناك تعارض مع آخريته، وإنما يحدث التعارض إذا بُعث من بعده نبى جديد حتى ولو لم يأت هذا النبى بشريعة جديدة، ولو كان هذا النبى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.
- إن نبوة عيسى ستكون هي نفس النبوة التي نالها عند مجيئه قبل الإسلام وليست نبوة جديدة.
- إضافة إلى ذلك.. فإنه عند عودته مرة أخرى سيكون تابعا للرسول صلى الله عليه وسلم ولن يكون نبيا مستقلا.

ولهذا.. لكونه نبيا قديما، ولأنه سيكون نبيا تابعا، فهو لن ينقض ختم النبوة. ويطرب على ذلك أن مفهومهم عن الآخريّة.. أو ختم النبوة.. يعنى فقط إنه من غير الممكن أن يختار الله تعالى أنبياء جددا ولكنه يستطيع فقط أن يستحضر الأنبياء القدماء فحسب. وهذه سخافة لا تتفق مع العقل السليم ولا مع المنطق المتزن. فأى حكمة تلك التي يتصف بها ذلك الإله الذي يقرر الآخريّة المطلقة لنبى من الأنبياء رغم علمه التام بضرورة بعث نبى بعده؟ أما أن يكون هذا النبى جديدا أو قديما فهذا أمر لا أهمية له على الإطلاق، إذ أن جوهر الموضوع وأهميته يتركز في وجود الحاجة والضرورة لبعث نبى.

إن وجود الحاجة لبعث نبى بعد مجيء النبى الأخير هو أمر ينم على التناقض في ذاته. وحين يواجه العلماء هذا التناقض نجدهم دائما يلوون الحقائق، وهم يقولون إن الحاجة إلى مجيء نبى قد تنشأ بعد أن يكون النبى

الأخير قد جاء ومضى، ومع ذلك فإن آخريته المطلقة تبقى على حالها، ما دام أحد الأنبياء القدماء هو الذي يلي هذه الحاجة الجديدة. ومن الواضح أن أي عاقل يمكن أن يرى مدى سقم هذا المنطق المغلوط والمغشوش. فاختلاق فرق بين نبي قديم أو جديد هو أمر ساذج، ومحاولة صبيانية لإثارة التشويش والاضطراب في الأذهان. فإذا افترضنا أن عيسى الناصري عليه السلام قد عاد إلى الظهور مرة أخرى كنبى تابع للرسول صلى الله عليه وسلم فإنه بلا شك سيكون نبيا جاء من بعده. إن تلبية حاجة جديدة باستعارة نبي قديم.. أسوأ من تلبية نفس هذه الحاجة ببعث نبي جديد يكون من أفراد الأمة الإسلامية. وبالطبع إذا كان بعث النبي القديم لا يتعارض مع عقيدة الآخرية المطلقة للرسول صلى الله عليه وسلم فإن بعث نبي جديد لا يتناقض أيضا معها.

## الإمام المهدي

لعلنا الآن نستطيع أن نخرج قليلا عن موضوع عودة عيسى عليه السلام لنلقي بأنظارنا على مكانة ومقام الإمام المهدي. فحسب بعض نبوءات الرسول صلى الله عليه وسلم لا يبدو أن ظهور عيسى عليه السلام هو وحده الظهور المنتظر في آخر الزمان، فهناك الكثير من النبوءات تتحدث عن مبعوث آخر يقيمه الله تعالى تحت اسم "الإمام المهدي". وتذكر الكثير من الأحاديث الشريفة عيسى عليه السلام والإمام المهدي كما لو أنهما شخصان مختلفان، غير أن هناك استثناء واضحا من ذلك، إذ يذكر ابن ماجة.. وهو أحد كتب الصحاح الستة أن هذين الشخصين هما في واقع الأمر شخص واحد، وإنما يحمل لقبين مختلفين. وفي هذا الشأن يقول نص الحديث:

"... ولا المهدي إلا عيسى".<sup>٢</sup>

وهذا يعني بوضوح أن المهدي المنتظر قد لُقِبَ باسم عيسى، غير أنه من المعروف أن الإمام المهدي سوف يولد من بين أفراد الأمة الإسلامية حسب الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، فكيف يكون هو نفس

عيسى ﷺ إذا كان عيسى سوف ينزل من السماء من بعده؟ إن هذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان اسم "عيسى" هو مجرد لقب يحمله الإمام المهدي بالإضافة إلى لقب "الإمام المهدي"، وبالتالي.. فليس هناك من شخص آخر ينزل من السماء. أما الدور الذي يُقال إن عيسى سوف يقوم به، فسوف يقوم به الإمام المهدي. وعلى ذلك فإن من لُقّب باسم النبي عيسى ﷺ مجازا سوف يولد في الأمة الإسلامية باعتباره الإمام المهدي. وهذا يقودنا إلى تحديد المكانة الحقيقية للإمام المهدي. وكما سوف نبين في هذا السياق.. لا يمكن إلا أن يكون مقامه مقام نبي تابع لا يحمل شريعة، رغم أن أغلب العلماء المسلمين لا يعتبرونه كذلك. وأما في حالة عيسى ﷺ فلا يجدون أية غضاضة في أن يقولوا باطمئنان إنه نبي، لما سبق ذكره من أسباب، ولكنهم لا يستطيعون أن يعترفوا بذلك في حق الإمام المهدي، خشية أن يتعارض هذا الاعتراف مع عقيدتهم عن الآخرة المطلقة.

وتختلف استراتيجيتهم اختلافا كبيرا بالنسبة للإمام المهدي، فهو بالنسبة لهم سوف يظل نبيا غير مُتَّوج، إذ أنه سوف يتصف بجميع صفات الأنبياء فيما عدا هذا اللقب. وهذا يشابه تماما وصف مخلوق بجميع صفات الإنسان بغير اعتباره إنسانا، رغم أن اعتباره أي شيء آخر لن يغير حقيقة كونه إنسانا. ومن هنا ينبغي أن يدرك العلماء أن مكانة الإمام المهدي تتحدد حسب ما تقتضيه الصفات التي يتصف بها. ولا يمكن إنكار مكانته كني مادام يظل يؤدي مهمة النبي ويتصف بصفات النبي. فإذا كانت كل مقتضيات النبوة متوفرة في شخص ما، فإنه يكون نبيا، ويظل نبيا، مهما أطلق الناس عليه من أسماء. ويكون إنكاره مع كونه مبعوثا من الله تعالى بمثابة إنكار الله عز وعلا. وعلى هذا من يرفض الإيمان بالإمام المهدي باعتبار أنه نبي تابع.. سوف يفقد الحق في أن يعتبر نفسه ضمن زمرة المؤمنين الصادقين. إن الإيمان به فرض واجب على كل مسلم، كما يعترف بذلك

حتى الأصوليون. وهو بذلك يشترك مع بقية الأنبياء في ضرورة الإيمان بهم جميعاً، ولا يشترك أحد آخر مع الأنبياء في هذا الأمر. والإصرار على عدم الاعتراف بمكانة الإمام المهدي لا تحرمه بتاتا من هذا الحق، كما لن يقلل عدم الاعتراف هذا من التناقض السافر في معتقداتهم.

### الوحي والأنبياء الذين لا يحملون شريعة

إن مقام النبوة في الإسلام هو أعلى مقام يمكن أن يهبه الله تعالى للإنسان. وليس النبي هو الشخص الذي يخبر ببعض النبوءات، وإنما النبي هو الذي يكلفه الله تعالى بهذه المهمة بشكل خاص. وليس كل المجددين بالضرورة هم من الأنبياء، ولكن جميع الأنبياء هم بالضرورة مجددون. وتلقى الوحي في ذاته لا يجعل الإنسان نبياً، إذ من الممكن أن يتلقى الوحي غير الأنبياء، فينعم الله تعالى عليهم بوصاله والاتصال به.

وللوحي مجال واسع من الأشكال التي يتم بها، من بينها الأحلام والرؤى والإلهامات وحتى المحادثات الكلامية. ولا ينكر العلماء وقوع هذه الظاهرة، حتى علماء العصور الوسطى، وإنما يقع الاختلاف فيما يتعلق بإمكان حدوث وحي النبوة. وهذا الجانب من الوحي هو الذي سنقوم ببحثه.

إن المرء يستطيع أن يفهم بسهولة حكمة انقطاع بعثة الأنبياء بشريعة جديدة، في ضوء ما سبق شرحه من اكتمال التشريع في القرآن المجيد. والموضوع الذي يجب أن يتم بحثه بالتفصيل هو: لماذا يتوقف أيضا الوحي الذي لا يحمل تشريعا، ولماذا يجب أن ينتهي أيضا مقام النبوة بأكمله وبصورة فجائية؟ إن تاريخ الأديان يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنه ليس من المحتم لكل نبي أن يأتي بشريعة جديدة من الله تعالى. فهناك الكثير من الأنبياء، مثل إسحاق ويعقوب ويوسف ولوط، وأشعياء، الذين لم يأتوا بشريعة جديدة. ومع ذلك فقد اصطفاهم الله كما اصطفى الذين من قبلهم، وكلفهم بمهمة النبوة، وأن يكونوا قادة روحانيين لأممهم.

## المراجع

1. BATALVI, MAULAWI MUHAMMAD HUSSAIN. *Ishā'at-us-Sunnah* (June/July/Aug, 1884) No. 6. Vol.7. p.169
2. *Sunan Ibn-e-Mājah*. Kitābul-Fitan. Bābo Shiddatiz-Zamān